سوء الظن

في المجتمعات القرآنية

السيد مرتضى الحسيني الشيرازي

سوء الظن

في المجتمعات القرآنية

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

هنالك تساؤلات هامَّة جدًّا قد يطرحها الباحثون والمتدينون حول سوء الظن وحسن الظن بالآخرين، ومنها:

هل سوء الظن من الرذائل الأخلاقية فقط، أم أنه من المحرمات الشرعية؟

هل مذمومية أو حرمة سوء الظن خاصة

بالقياس إلى المؤمنين؟ أم أنها شاملة لغيرهم أيضاً؟

وكيف نتعامل مع الأعداء، هل بحسن ظن أم بسوء ظن؟

هل معادلة حسن الظن خاصة بدائرة (المجتمع الصالح) أم أنها جارية حتى في المجتمعات الإسلامية المنحرفة؟ وماذا نصنع بروايات من قبيل: «إذا فسد الزمان وأهله فأحسن رجل الظن برجل فقد غرر»؟

ما هي بواعث سوء الظن وما هي الحلول؟

هل مقتضى القاعدة سوء الظن بالحكومات الجائرة والطواغيت أم حسن الظن بهم؟ وكذلك الحال بالنسبة إلى أهل البدع والضلالات؟

كل هذه التساؤلات يجيب عنها هذا الكراس الذي بين يديك أيها القارئ الكريم.

وممَّا ينبغي الإشارة إليه أن هذه البحوث قد تم نشرها سابقاً عبرة سلسلة من ثلاث أجزاء في مجلة النبأ «الفكرية»، ونحن بدورنا قمنا بجمعها

وإعـادة إخراجهـا فـي كـراس، لمـا تحتويـه هـذه البحـوث من فوائد مهمـة، ومناقشـات علمية على ضوء الأدلة الشرعية والعقلية.

وقد اسـتجزنا سـماحة السـيد المؤلف -دام ظلـه- في إعادة نشـر هذه الأبحاث، بهـذه الصورة الماثلة بين يديك، فأجازنا بذلك متفضلاً.

والحمد لله رب العالمين.

مؤسسة الشعائر الثقافية
الكويت

الفصل الاول

سوء الظن

حكمه الشرعي، أسبابه، والحلول

سوء الظن: الحكم والأسباب والحلول

سوء الظن عامل دمار الأمم

عندما ندرس ظاهرة (سوء الظن) من الناحيتين (السيكولوجية والسايسيولوجية) -بمجمل تأثيراتها على الفرد والمجتمع- فإننا سوف نكتشف أنها من أخطر الفايروسات والجراثيم التي تحطم جهاز المناعة لدى المجتمعات والأفراد لتحوّل رياضها النضرة وجنانها الغنّاء إلى صحارى قاحلة تحرقها أشعة الشمس اللافحة والى خرائب تنعق فيها الغربان.

وسوء الظن أيضاً هو ذلك (التيزاب) وتلك المادة الكيماوية الرهيبة التي تصب على (إيمان

المؤمـن) فتذيبه في لحظـات وتحرقه فـي ثوانٍ بل كأسرع من لمح البصر.

سوء الظن رذيلة أخلاقية أم حرام ومعصية؟

ولذلك -وعلى عكس ما يتصوره أكثر الناس- كان (سـوء الظن) محرّماً، يقـول الإمام علي عليه السلام: «اطرحوا سوء الظن من بينكم، فإنّ الله عزّ وجل نهى عن ذلك»[1] وظاهر مادة النهي هو الحرمة.

ويقول الشـهيد الثانـي قدس سره: «واعلم أنه كما يحـرم على الإنسـان سـوء القول فـي المؤمن، وإن يحدث غيره بلسـانه بمسـاوئ الغيـر، كذلك يحرم عليه سـوء الظن وأن يحدث نفسـه بذلـك. والمراد من سـوء الظن المحرم، عقـد القلب، وحكمه عليه بالسـوء مـن غيـر يقين بـه وأمـا الخواطـر وحديث النفس فهو معفو عنه، كما أن الشك أيضاً معفو عنه، قـال تعالى: ﴿**اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْـمٌ**﴾[2] فليس لك أن تعتقد في غيرك سـوءاً إلا إذا

(١) الخصال: ص٦١٠، ٦٢٤.
(٢) الحجرات: ١٢.

انكشف لك بعيان لا يحتمل التأويل».

ولكي لا نفتح لأنفسنا باب سوء الظن على مصراعيه متعللين بهذا المقطع من كلام الشهيد الثاني «إلا إذا انكشف لك بعيان لا يقبل التأويل» أضاف الشهيد ههنا قائلاً: «ومن هنا جاء في الشرع إن مَن علمت في فيه رائحة الخمر، لا يجوز أن تحكم عليه بشربها، ولا تحدّه عليه لإمكان أن يكون تمضمض به ومجّه، أو حُمل عليه قهراً، وذلك أمر ممكن، فلا يجوز إساءة الظن بالمسلم»[١] وذلك رغم أن هذين الاحتمالين ضعيفان جداً في أكثر الأحيان ومع ذلك لا يجوز الحمل عليها.

وقال صاحب الجواهر[٢] في ضمن تعداد ما يقدح في العدالة «وقد ذكر الأردبيلي جملة منها -أي مما يقدح في العدالة- ومن أخبارها كهجر المؤمن... ومنها: النميمة.. ومنها سباب المؤمن، ومنها سوء الظن، ومنها الغيبة والبهتان، ومنها طلب

(١) كشف الريبة عن احكام الغيبة: ص ٢٩٣.
(٢) جواهر الكلام: ج٤١ ص٥٨-٥٩ ثم راجع تعليقه صاحب الجواهر ص٦٠.

عثرات المؤمنيـن وعوراتهم ومنها إيـذاء المؤمنين واحتقارهم والاستهزاء والسخرية بهم...».

وقـد عنـون صاحـب الوسـائل البـاب ١٦١ بـ(باب تحريم تهمة المؤمن وسوء الظن به)[١].

وقـال المولـى النراقـي في جامع السـعادات تحت عنوان (سوء الظن بالخالق والمخلوق): «فلا يجوز تصديق -الشـيطان- اللعين في نبأه وإن حفّ بقرائن الفسـاد مـا احتمل التأويـل والخلاف.. ولو أخبرك عدل واحد بسوء من مسلم، وجب عليك أن تتوثق أخباره من غيـر تصديق ولا تكذيب»، وعلله بتزاحم (سـوءي الظن) وأضاف «مـع احتمال كون العدل المخبر ساهياً أو التباس الأمر عليه بحيث لا يكون في إخباره خلاف الواقع آثماً وفاسقاً».

قـال رسـول اللـه ﷺ: «إن اللـه حـرّم من المسلم دمه وماله وأن يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السـوء إلا بما اسـتباح به الدم والمال وهو تيقّن مشـاهدة أو بينـة عادلـة» وعن أبي عبـد الله عليه السلام:

(١) ج٨ ص٦١٣ ط الإسلامية.

«إذا اتهم المؤمن أخاه انماث الإيمان من قلبه كما ينماث الملح في الماء»[١]. وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «آفة الدين سوء الظن»[٢] و«إياك أن تسيء الظن فإن سوء الظن يفسد العبادة ويعظم الوزر»[٣].

ويقول الإمام الشيرازي قدس سره: «أما ظن السوء بهم (بالمؤمنين) فهو محرّم إذا كان كثيراً ... لا يقال كيف يمكن حرمة سوء الظن مع أنه غالباً ليس بيد الإنسان؟

فإنه يقال: إنها مثل سائر المحرمات الخبيثة التي بيد الإنسان التقليل منها وعدم الاستمرار فيها إذا طرأت عليه»[٤].

لكنه قدس سره في مجال الفتوى صرح في المسائل الإسلامية/ الفائدة الأولى: المحرمات قائلاً: بـ(سوء الظن بالناس مع ترتيب الأثر عليه)

(١) الكافي ج٢ ص٣٦١ باب (التهمة وسوء التهمة) ح١.
(٢) غرر الحكم ٥٦٦٩.
(٣) غرر الحكم ٥٦٦٨.
(٤) موسوعة الفقه، المجلد ٩٣، كتاب المحرمات.

وكذلك أفتى السيد العم (دام ظله) في فصل الأخلاق والآداب الإسلامية تحت عنوان المحرمات.

ولعل المقصود ما إذا كان الأثر محرّماً.

وقال السيد السيستاني (دام ظله) في فقه المغتربين: «نهانا الله سبحانه وتعالى عن سوء الظن، فقال في محكم كتابه الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾[١].

وبموجب هذه الآية القرآنية الكريمة لا يحلُّ للمؤمن أن يظن بأخيه الظن السيء دون دليل واضح، وبيّنة وبرهان، فدخائل النفوس لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، وما دام يمكن حمل فعل المؤمن على الصحة فإنها نحمله على الصحة حتى يثبت لنا غير ذلك، يقول الإمام علي عليه السلام: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً، وأنت تجد لها في الخير محملا»[٢].

---

(١) الحجرات / ١٢.

(٢) الكافي ج٢ ص٣٦٢ باب (التهمة وسوء الظن) ح٣.

وقال الشيخ الطوسي في التبيان[١]: «ثم خاطبهم أيضا فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي صدقوا بوحدانيته ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ﴾ وإنما قال (كَثِيراً) لان في جملته[٢] ما يجب العمل عليه، ولا يجوز مخالفته. وقوله: ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ فالظن الذي يكون إثما إنما هو ما يفعله صاحبه وله طريق إلى العلم بدلا منه مما يعمل عليه، فهذا ظن محرم لا يجوز فعله، فأما مالا سبيل له إلى دفعه بالعلم بدلا منه، فليس بإثم، فلذلك كان بعض الظن إثم، دون جميعه، والظن المحمود قد بينه الله ودل عليه في قوله: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾: يلزم المؤمن أن يحسن الظن به ولا يسيء الظن في شيء يجد له تأويله جميلا، وإن كان ظاهره القبيح. ومتى فعل ذلك كان ظنه قبيحاً».

وقد يقال: إن سوء الظن بالمؤمنين محرّم في حالات: ما إذا كان متعلَّقه من المحرمات، كما

(١) التبيان ج٩ ص٣٥٠.
(٢) أي جملة الظن.

لـو ظن بأخيه شـرباً للخمـر أو سـرقة أو تعمّد غيبة وتهمة، مع عقد القلب عليه.

والثانيـة: مـا إذا كان كثيـراً وإنْ لـم يتعلـق بالمحرمات، كما لو ظن بأخيه: كثرة النوم أو الكسل أو ما أشبه ذلك، بشرط كون حالات سوء الظن هذه عنده كثيرة وإليه يشير تصريح السيد الشيرازي قدس سره السابق الذكر

الثالثـة: إذا رتـب عليـه الأثر، مـع تخصيصه بالأثر المحرم.

ثم إنه كما أن المحرم عقد القلب عليه كما مر في تصريح الشهيد الثاني قدس سره كذلك يحرّم حديث النفـس به وتردده فـي الخاطر إذا كان كثيـراً وإنْ لم يعقـد قلبه عليـه كما لعل إطلاق السـيد الشـيرازي بـــ(إذا كان كثيـراً) وبـــ(لا يقـال كيـف) شـامل له. والمسألة بشقوقها بحاجة إلى تأمل أكثر. فتأمل.

سوء الظن المرض المجهول

ثـم إننا لا بدّ أن نعـرف أن من أصيب منا بداء

سـوء الظن (لا يدرك) - فـي كثير من الأحيان - أنه مريـض و(إن أدرك) فإنـه سـيختلق لنفسـه الأعذار والمبـرّرات وسـيصر على موقفه تمامـاً كالمصاب بمـرض (انفصام الشـخصية) أو(التشـاؤم والنظرة القاتمـة: للكـون والحقائـق والأحـداث والنـاس والأصدقاء) أو (الوسوسة في الطهارة والنجاسة).

إن (الوسواسـي) يـرى حالتـه هـي الطبيعيـة بـل هي الضروريـة وغيره على خطأ! و(المتشـائم) يحسـب غيره بسـيطاً سـطحياً ولا يلبـث أن يرتطم بصخور الحقيقة المرّة!

و(سيئ الظن) بالعاملين والأصدقاء والعلماء وشـركائه في العمل يحسـب أنـه (الذكي الألمعي) وأنـه (الكيِّس الفَطِـن) وأن غيره المغفل والسـاذج والبسيط والمغرَّر به؟

فعندما يشـهد عالماً يقارع الطاغوت يقول لا ريـب أن له مـآرب دنيوية ولا شـك أن دافعه (حب الرئاسـة)!! ولا نقـاش فـي أن هنالك أيـادي خفية تحرّكه!!

وعندما يشهد خطيباً ناجحاً أو أستاذاً مرموقاً يخطط كي تبثّ أحاديثه عبر الأقمار الصناعية، يحدّث نفسه: لابدّ أن حافزه حب الشهرة!!

وعندما يرى أخاه المؤمن يؤسس مؤسسة دينية أو إنسانية يقول: لا ريب في أنه يصنع بذلك (شبكة) يصطاد بها أموال الناس والكادحين!!

إن (سيئ الظن) يرصد كل تحرك وكل همسة وكل نظرة ويحسب لها ألف حساب ثم تراه لا يحملها إلا على أسوأ المحامل:

فيا ترى ما هو السبب الذي دعا (زيداً) -مثلاً- لكي يؤسس مدرسة بالقرب من مدرستي! أو مسجداً أو مكتبة أو متجراً أو غير ذلك؟

إنّ هدفه واضح وضوح الشمس؛ لقد أراد أن ينافسني ويحطم مدرستي!

ولماذا يا ترى لم يقم (عمرو) لي، عندما دخلت المجلس؟

إن من الواضح أنه رآني وتعمّد أن لا يقوم لي

استخفافاً بي وهدراً لكرامتي أمام الناس!

و: أرأيت كيف نظر (بكر) إليّ؟

وكيف تغامز مع (خالد)؟

ثم كيف عاملني صديقهما (أحمد) ببرود؟

وزوجتي الأخرى ما الذي دهاها؟ أراها (تتثاقل) أحياناً في تلبية طلباتي ولا تتلقاني بابتسامتها المشرقة كالسابق وتشكو وتتذمر، لا بدّ أن هنالك سرّاً خطيراً وراء الأمر، لا وألف كلا ليس المرض هو السبب ولا مشاكل الحياة ومشاق تربية الأولاد ولا الضغط العصبي الكبير ولا طريقة تعاملي معها وجفائي وتكبّري واستعلائي وتعاملي معها كـ(خادمة) أو (أمَة) طوال السنين الماضية، كلا ثم كلا، لقد (طغت) و(تكبّرت) و(تجبرت)، ولابدّ أن تعاملي المتسامح معها هو الذي شجعها على احتقاري والاستهانة بي، أو لا ريب أن (أمها) قد شحنتها ضدي.. وألف خيال وخيال، وهكذا (تتواصل) حلقات سوء الظن وتتوالى وتتتابع ليجد المرء نفسه أسير شبكة عنكبوتية سوداء قاتمة

تعتصر فؤاده وتفسد عليه أخلاقه وتبعد عنه أحباءه وخلانه وإخوانه، ثم تجده يتحول إلى (إذاعة متحركة) تسب وتتهم، والى قنابل متفجرة تنسف وتحطم، وهكذا يكون (سوء الظن) هو البداية و(سوء العاقبة) هو النهاية!!.

من أسباب سوء الظن

ولكي تتيسر لنا السيطرة على ظاهرة سوء الظن، فإنه لا بد من دراسة الأسباب المورِثة للظن السيء ومن ثم سرد الحلول الناجعة:

١- تسويل الشيطان وكيد إبليس، ذلك أن (سوء الظن) أفضل أحبولة للشيطان يوقع بها بين المؤمنين وهي الجسر الطبيعي نحو العداوة والبغضاء والفتن والحروب وهي (المقدمة الموصلة) لرواج سوق الغيبة والتهمة والتدابر والاختلاف و(العداوة والبغضاء) بين المؤمنين تبلغ درجة من القبح والفداحة بحيث إن الله تعالى بيّن أن الخمر والميسر - وهما من كبائر المحرمات المغلظة - يسببان العداوة والبغضاء بين المؤمنين

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ﴾؟[١]

فكأنّ العداوة والبغض هي العلة أو الحكمة لتحريم الخمر والقمار.

ولذلك ورد في الحديث: «احمل فعل أخيك على أحسن محمل» و«وعلى سبعين محمل»، لماذا؟

لأنك بذلك تسد الطريق على الشيطان وتقطع حبائله وأنشوطته بسلاح (حسن الظن بالمؤمنين) وغير خفي أن (سبعين) في الرواية لا يراد به العدد والرقم المحدّد بل المراد به التكنية عن الكثرة. ولذلك قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[٢].

وكم من حوادث طلاق أدّت إلى تدمير عوائل كاملة كان منشؤها سوء الظن؟

(١) المائدة / ١٩٨.
(٢) الحجرات / ١٢.

وكم من صراع دموي بين أخوين أو أسرتين أو قبيلتين كان قد قدح شرارتها (شيطان سوء الظن)؟

وكم من مؤسّسات وتنظيمات وتجمعات (انهارت) نتيجة (سوء الظن)؟

فهذا يظن أن ذاك (أخفى) عنه سرّاً وذاك يظن أن هذا قد (تجاوزه) وتخطى حدوده والثالث يظن أن صاحبه قد (وشى) به عند أصدقائه أو مسؤوله وانتقص منه، فقابله بالمثل وردّ عليه الكيل كيلين وهكذا وهلمّ جراً.

٢- (الجبن وضعف النفس) كما يقول في جامع السعادات عن سوء الظن بالخالق والمخلوق: (وهو من نتائج الجبن وضعف النفس، إذ كل جبان ضعيف النفس تذعن نفسه لكل فكر فاسد يدخل في وهمه ويتبعه)، وهكذا نجد أن ضعف النفس وضعف الأعصاب أيضاً هو من أسباب سوء الظن بالمؤمنين[1].

(١) ج١، ص٢٨٠.

٣-٤- (العجب) وهو استعظام النفس، و(الكبر) من أهم أسباب سوء الظن بالآخرين ولذلك ورد في الحديث الشريف: «ويلكم عبيد السوء ترون القذى في أعين غيركم ولا ترون الجذع في أعينكم»[1]، إنّ من يستعظم نفسه وعمله ويرى في ذاته ومناهجه الكمال (وهذا هو العجب)، ويرى نفسه فوق الآخرين وأعلى مرتبة منهم (وهذا هو الكبر)، يستفزّه أن (لا يقوم صاحبه له في المجلس) أو (أن يسبقه أخوه إلى عمل خير) أو (أن يسمع الناس يمتدحون منافسه) فيثير فيه كوامن سوء الظن فيفسّر كل ظاهرة من تلكم الظواهر تفسيراً سلبياً كي لا تسقط نفسه عن عليائها وبرجها العالي الذي تخيله لنفسه: (إنه لم يقم لي حسداً)، وقد (سبقني إلى عمل الخير ليسقطني عن أعين الناس) و(الناس يمتدحون أخلاقه ويشيدون بفضائل أخلاقه لأنه ماكر يحسن التصنّع)..، هكذا وهلمّ جراً.

٥- (خبث الباطن والجِبِلّة الشاكلة

(١) بحار الأنوار ج١٤.

المشوّهة): خبث الباطن: فإنّ من تعوّد على الحيلة والمكر والخديعة (يتصوّر) الآخرين كذلك و(يترجم) تحركه لهم بتلك اللغة وبنفس النغمة، ومن كانت كلماته سلسلة من الأكاذيب فانه لا يستطيع عادة أن يرى غير الكذب ثم الكذب ثم الكذب في كلمات الآخرين. ومن لم يؤلّف، ولم يدرس، ولم يؤسّس و ... إلا رياء وسمعة وحباً للشهرة فإنه يزن الآخرين بنفس الميزان ويقيسهم بنفس المقياس، وهكذا يحسب (ذاته) مرآة للآخرين يرى فيهم ما هو متأصل فيه ويكتشف فيهم ما كان عليه أن يكتشفه من نفسه.

٦- (القياس والتعميم): فقد يصطدم المرء بحقيقة مرّة يكتشفها فجأة في صديق أو عالم أو عامل فيفقد ثقته بكل الأصدقاء والعلماء والعاملين.

إن (قياس) سائر الأفراد وسائر الحالات على هذا الفرد والمصداق، وإن (تعميم) حالة معيّنة وعيّنة خارجية لكل الحالات والمصاديق يعد من أكبر أخطاء الإنسان ومن أكبر عوامل سوء الظن وذلك لأن (الجزئي لا يكون كاسباً ولا مكتسباً)

و(الاستقراء الناقص) ليس بحجّة و(الاستقراء المعلّل) ليس بمتحقّق في المقام بشهادة الروايات والعقل وبناء العقلاء.

إن (التوازن) ورؤية القضايا بعيداً عن أية (صدمة) عاطفية هو المطلوب وهو ما تقتضيه الحكمة وهو مؤشر النضج والكمال.

من الحلول الناجعة

١- أسئ الظن بنفسك وأحسن الظن بالمؤمنين، واستكشف مواطن الخلل والنقص في ذاتك فـ«طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس»[١] وتذكّر حديث موسى عليه السلام مع الرب في قضية ذلك الكلب. ولذلك يقول الإمام السجاد عليه السلام: «اللهم صلِّ على محمد وآل محمد ولا ترفعني في الناس درجة إلا حططتني عند نفسي مثلها ولا تحدث لي عزّاً ظاهراً إلا أحدثت لي ذلة باطنة عند نفسي بقدرها»[٢].

(١) بحار الأنوار ج٧٢ باب ٤٠ ح١.
(٢) دعاء مكارم الاخلاق.

٢- تعامل مع سوء الظن تعاملاً عكسياً ولا تتبع العثرات، يقول المولى النراقي قدس سره: «ثم طريق المعالجة في إزالة سوء الظن: أنه إذا خطر لك خاطر سوء على مسلم، لا تتبعه ولا تغير قلبك عمّا كان عليه بالنسبة إليه من المراعاة والتفقّد والإكرام والاعتماد بسببه، بل ينبغي لك أن تزيد في مراعاته وإعظامه له بالخير فإن ذلك يقنط الشيطان ويدفعه عنك، فلا يلقي إليك خاطر السوء خوفاً من اشتغالك بالدعاء وزيادة الإكرام، ومهما عرفت عثرة من مسلم فانصحه في السِّر ولا تبادر إلى اغتيابه وإذا وعظته فلا تعظه وأنت مسرور باطلاعك على عيبه لتنظر إليه بعين الحقارة مع أنه ينظر إليك بعين التعظيم بل ينبغي أن يكون قصدك استخلاصه من الإثم وتكون محزوناً كما تحزن على نفسك إذا دخل عليك نقصان..».

٣- حاسب نفسك يومياً، وقف لها بالمرصاد، وكن أنت الحاكم على الوساوس لا المحكوم بها، اقطع على نفسك حبال التفكير السلبي، ولا تسترسل في التفكير باستنباطٍ بغيضٍ نابع من سوء الظن.

٤- ابتعد عن عوامل الإثارة والتشويش: ابتعد عن الصديق النمّام وقد ورد: «لا يدخل الجنة قتات»[١] أي نمّام. وقال الإمام علي عليه السلام: «مجالسة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار»[٢] وفي رواية «محبة الأشرار..»، فإن (مجالسة الأشرار) عامل و(محبتهم) عامل آخر.

٥- أصلح سريرتك وطهّرها من رذائل الأخلاق فلربما كان وراء (سوء الظن) الحسد أو الحقد والغضب. أو الكبر والعجب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للإمام علي عليه السلام: «واعلم يا علي أن الجبن والبخل والحرص غريزة يجمعها سوء الظن»[٣]. وقال النبي موسى عليه السلام للشيطان: «فاخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه؟ قال الشيطان: إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينه ذنبه»[٤]. وفي الموثق عن الإمام

(١) بحار الأنوار ج٧٢ باب ٦٧ ص٢٦٤.
(٢) بحار الأنوار ج٧١ ص١٩١.
(٣) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٣٠٤.
(٤) الكافي ج٢ ص٣١٤ باب العجب ح٨.

الباقر عليه السلام: «أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يؤاخي الرجل الرجل على الدين فيحصي عليه زلاّته يعيره بها يوماً»[١].

٦- ضع أمثال هذه الرواية نصب عينيك دائماً، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «لا تدع اليقين بالشك والمكشوف بالخفي، ولا تحكم ما لم تره، بما تروي عنه، قد عظم الله أمر الغيبة وسوء الظن بإخوانك من المؤمنين»[٢].

٧- تذكر أن (المحبة) و(الألفة) من أكبر نعم الله التي امتنّ بها على عباده، فلا تضيعها بـ(سوء الظن) قال تعالى: ﴿**لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ**﴾[٣] ﴿**فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا**﴾[٤]، وفي الحديث: «لا يغلب عليك سوء الظن فإنه لا يدع بينك وبين صديقك صفحاً».

(١) وسائل الشيعة ج١٢ ص٢٧٤.
(٢) مصباح الشريعة ص٦٧.
(٣) الأنفال / ٦٣.
(٤) آل عمران / ١٠٣.

٨- تذكر أن (سوء الظن) يحوّل حياتك إلى جحيم، ويفقدك أحباءك وأصدقاءك ويجعلك تتآكل من الداخل لتفقد صحتك وعافيتك وأعصابك فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «سوء الظن يفسد الأمور ويبعث على الشرور»[١] و«سوء الظن يردي صاحبه وينجي مجانبه» و«من كذب سوء الظن بأخيه، كان ذا عقل صحيح وقلب منشرح».

٩- تذكر أن لكلّ فعل رد فعل يساويه في القوة ويعاكسه من الاتجاه فـ(كما تدين تدان) وأنك لا تحصد من سوء الظن إلا سوء الظن لأن (القلوب سواقي) و(القلب يهدي إلى القلب) و(ما اضمر أحد شيئاً إلا وظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه)[٢]. وقد ثبت علمياً أن للتفكير أمواجاً وللحالات النفسية تموجات تصل للطرف الآخر فتوتر فيه سلباً أو إيجاباً.

فإذا أردت أن يسيء الناس بك الظن فأسئ

(١) غرر الحكم و درر الكلم.
(٢) نهج البلاغة.

بهم الظن حتماً! وهل يجني الجاني من الشوك العسل؟.

١٠- اعرف: إن سوء الظن مفتاح الشرور وبوّابة الآثام فإنه يجرُّ الإنسان جرّاً نحو الغيبة والتهمة والنميمة ويدفعه دفعاً نحو التجسّس على الآخرين وتتبع عوراتهم ففي الصحيح عن الإمام الباقر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا معشر من أسلم بلسان ولم يسلم بقلبه، لا تتبعوا عثرات المسلمين فمن تتبّع عثرات المسلمين تتبّع الله عثراته ومن تتبّع اللهُ عثراته يفضحه»[1].

١١- وأخيراً علينا أن نعلم أن الشريعة الإسلامية أرست قواعدها على (حسن الظن بالمؤمنين) في شتى مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

قواعد فقهية مبنية على حسن الظن

وهذه بعض (القواعد الفقهية) التي تشهد

(١) الأخلاق للسيد شبر، الباب السادس.

على ذلك:

(أصالة الصحة) و(قاعدة اليد) و(سوق المسلمين) و(غيبة المسلم) و(هنّ مصدقات) و.. و.. وغيرها من القواعد الجارية في الاقتصاد والاجتماع والأسرة، كلها تكشف عن أن الأصول والقواعد قد بنيت على التفسير بالأحسن.

فلك أن تشتري أية بضاعة من سوق المسلمين رغم احتمال كونها مسروقة،

وعليك أن تعتبر اليد أَمارة الملك فتشتري من ذي اليد بل وأن تشهد له في المحاكم، رغم احتمال كونها عارية أو مغصوبة.

ولك أن تتزوج - دائماً أو متعة - بالمرأة لا بمجرّد دعواها أنها غير متزوجة أو أن عدتها قد انتهت فقط، بل لمجرّد أنها قد وافقت على أن تتزوج بك حتى دون أن تصرّح لك بأنها خلية أو لا عدّة لها أو ما أشبه ذلك.

وغيبة المسلم - بشروطها - من المطهرات

رغـم الاحتمـال بل الظن بأنه لم يطهر ملابسـه مثلاً أثناء غيبته.

الفصل الثاني

سوء الظن

السر الخفي وراء الجريمة

سوء الظن السر الخفي وراء الجريمة

بواعث الجريمة: الحقد، والحسد، والجبن والخوف، وسوء الظن وهو علة العلل!

عندما نقوم بدراسة سيكولوجية للعلل والعوامل الكامنة وراء (الجريمة) و(الإجرام) عند الطغاة، وعندما نسبر أعماق مجاهيل شخصيةٍ كمعاوية والحجاج وهتلر وصدام، نكتشف أنّ من أهم بواعث الجريمة ومن أقوى علل الاستبداد والطغيان عوامل أربعة:

١ - (الخوف المريع) كالخوف من المعارضة والخوف من سقوط العرش وفقدان المنصب والثروة والرياسة..

٢- و(الجبن الشـنيع) فإن الجبان يخاف من أدنى همسة أو نقد وحركة ويحسب لها ألف حساب عكس الشـجاع الذي يسـمح للآخرين بهامش كبير أو مطلق من الحريات لأنه لا يخاف.

٣- و(الحقد الفظيع) فإن الحقود يضرب بيد مـن حديد عكس المتسـامح الطيب السـليم النفس من الغل والحقد.

٤- و(الحسـد الدنـيء) فـإن الحسـود يظلم ويطغى على المحسود بغير وجه حقٍ.

وعندمـا نحلّـل عوامـل الخـوف والحقد بل والجبن أيضاً، نجد أن (سوء الظن) يكوّن (الخلفية) و(الإطـار) كما أنه يتفاعـل مع هـذه العوامل لينتج (العَمَـه). قـال جل وعـلا: ﴿**وَنَذَرُهُمْ فِـي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾[1]، وكما يلد الحقدُ سوءَ الظن يفرزُ سوءُ الظـن أيضاً الحقدَ مـن جديد وكذلك يلـد الخوفُ سوءَ الظن وبالعكس في حركة دورية متزايدة

(١) الأنعام/ ١١٠.

ولسنا ممّن يقوم بهذه الدراسة النفسية لبواعث الجريمة عند الطاغية، لمجرّد الرغبة في استشكاف علمي أو استعراض تاريخي لحالة الطغاة النفسية. بل إننا نسلّط الأضواء وبتركيز شديد على هذه الحقيقة المرعبة، لأنّ كل واحد منا يمكن أن يكون (مشروع طاغية) في المستقبل لا سمح الله، بل أن يكون - وهو رب عائلة أو مدير مؤسسة أو قائد حزب أو أباً روحيا لجمهرة من الناس- (طاغيةً بالفعل) ومجرماً في حدود قدراته التي لو توسّعت لأضحى نسخةً أخرى من فرعون وهامان وشداد والحجاج وصدام.

يقول تعالى: ﴿**وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي**﴾[1].

ويقول جل وعلا: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنْ الْغَاوِينَ**﴾[2].

(١) يوسف / ٥٣.
(٢) الأعراف / ١٧٥.

ويقـول عزّ من قائل: ﴿إِنَّ الْإِنْسَـانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾[1].

ويشـهد التاريـخ علـى صحـة هـذا التحليـل السيكولوجي:

فلقـد كان معاويـة يأخـذ على الظنـة والتهمة -كذلـك كل طغـاة الأرض- وكان بعـض خلفـاء العثمانييـن قد اقتلـع أعين كل أقربائـه وورثته ممن يحتمل -ولو في المسـتقبل البعيـد- أن يحل محلّه أو ينافسه في سلطانه. وما ذلك إلا لمزيج من الحقد والخـوف والحسـد: الحقـد على من يراهـم أعداءً لـه، والحسـد منهـم، والخـوف مـن معارضتهم له وانتصارهـم عليه ولو في بعض الحقول.. و(وقود) الحقد والخوف هو (سوء الظن) بالآخرين.

وكان شـعار بعـض الأحـزاب (تسـقيط) كل نجـم فكـري أو اجتماعـي يلمـع فـي الأفق من التوجهـات والتجمعـات الأخرى وإن لـم يناصبها العداء أو يتخذ أي موقف سلبي منها.

(١) العلق / ٦-٧.

وذلك للأسباب نفسها:

١- الخوف من القامات الشامخة.

٢- والجبن عن مقارعة النجوم بالحجة وبالأداء الأمثل.

٣- وسوء الظن بالله وبالنفس وبالمؤمنين.

٤- والحقد عليهم.

٥- والحسد منهم.

وفي الجهة المعاكسة تشرق تلك السيرة المنيرة لرسول الإنسانية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما نجده يترفّع حتى عن الأخذ بحقه الطبيعي والقانوني في القصاص والمقابلة بالمثل، فيعفو عن أهل مكة -عند الفتح- وحتى عن أبي سفيان (صدام العصر) بل نجده صلى الله عليه وآله وسلم يتألّق أكثر فأكثر فيقول: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» كما يرسل الإمام علي عليه السلام ليهتف وسط جيش مكة المنهزم: «اليوم يوم المرحمة اليوم تحمى الحرمة» بعد أن تنادى عدد من أصحاب الرسول بشعار الثأر والانتقام: «اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة».

والإمام علي عليه السلام شمس أفق العدل والحرية والمناقب المثالية: نجده هو الآخر يعفو وبأخلاقية تفوق الخيال مهما حلّق عن أهل البصرة ويرد لهم كل ما حازه جيشه منهم من المغانم، ويعامل عائشة التي خرجت على إمام زمانها وأشعلت نار الحرب وأودت بحياة المئات، بصفح جميل ويرجعها إلى المدينة معزّزة بحماية أربعين امرأة مقنعة غارقة في الخوذة والدرع واللامة كي يخالهن اللصوص وقطاع الطرق - بل وربما حتى عدد من أصحاب الإمام عليه السلام الذين لم يستطيعوا أن يفهموا فكرة العفو عن رأس الفتنة- رجالاً مسلحين فتأمن عائشة من أي هجوم معاكس، وكنّ في الواقع أربعين (امرأة) صوناً لعائشة ومراعاة لها رغم كل الذي قد جرى منها.

إن السر الكامن وراء هذا التسامي والعفو والتسامح هو (الحكمة) و(الشجاعة) وسمو النفس و(حسن الظن بالله)

إن السبب هو تلك الشحنة الإيجابية الجبارة وتلك الطاقة البنّاءة التي تطفح بها نفوس سمت عن

الانتقام والحقد والحسد وتعالت فوق الحسابات الشخصية وتحلّت بالشجاعة والحكمة بل تربّعت على عرش الخلق الرّسالي النبيل.

إن الطاغوت يكشف عن جبنه وخوفه وحقده وحسده عندما يواجه المعارضة بالسجن والإعدام وبالاغتيال على طريقة (إن لله جنوداً من عسل).

والتجمّعات والأحزاب والشخصيات تزيح هي الأخرى الستار عن جوهرها عندما تواجه سائر التجمعات بسيل من الشتائم وبتشكيلة متنوعة من الغيبة والتهمة والنميمة والتهديد و...

حسن الظن بالله وبالمؤمنين وبدور القيم العليا

ثم إن حسن الظن له أنواع ومراتب ودرجات، كلها تدفع الإنسان المؤمن الذكي الألمعي كي يترك اغتياب الآخرين واتهامهم وظلمهم وسحق حقوقهم وتسقيطهم، كما تقابلها جميعاً أنواع ومراتب ودرجات من سوء الظن علينا أن نتجنبها بأجمعها:

أ- حسن الظن بالله تعالى وبعدله ورحمته ولطفه وكرمه.

فلو أن (المرء) أحسن الظن بالله لترك التوصل عبر المحرمات (الغيبة والتهمة ومصادرة حقوق الآخرين الشرعية والإنسانية) إلى الدفاع عن نفسه إزاء تكالب سائر القوى من داخل الدائرة الإسلامية عليه بمنهجية (التسقيط الاجتماعي)، ولابتعد عن كل ذلك اتكالاً على حسن الظن بالله الذي تكفل بالدفاع عن من لا يدافع عن نفسه بهاتيك السبل، أوَليس الله عزّ وجل يقول: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾؟[1].

كما يقول الشاعر:

اصبر على حسد الحسو
د فإن صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها
إن لم تجد ما تأكله

(١) الحج / ٣٨.

وفي الشعر المعروف لابن الصيفي[١]:

ملكنا فكان العفو منا سـجيّة
ولما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتل الأسارى وطالما
ظللنا عن الأسرى نعف ونصفح
فحسبكمو هذا التفاوت بيننا
وكل إنـاء بالـذي فيـه ينضح

ب- حسـن الظن بـ(المؤمنيـن) وبـ(وعيهم) أيضاً وبأنهم سيكتشفون الحقيقة ولو لاحقاً:

ألم يقل جل وعلا: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**﴾؟[٢].

ومهما تلبّدت السـماء بالغيـوم ومهما اكفهرّ الأفق، فلا بدّ لليل أن ينجلي ولا بدّ للفجر أن ينفلق

(١) وقد روى ابن خلكان عن الشيخ نصر الله أنه رأى في المنام أمير المؤمنين عليًّا فقلت له: يا أمير المؤمنين تفتحون مكة فتقولون: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ثم يتم على على ولدك الحسين ما تم، فقال: أما سمعت أبيات ابن الصيفي في هذا، فقلت: لا، فقال: اسمعها منه.
(٢) التوبة / ١٠٥.

وستظهر الحقيقة ناصعةً كالثلج نقيةً كالنبع شذيةً كالورد.

هذا كله إضافة إلى أن حسن الظن بالمؤمنين يقتضي حمل أفعالهم - حتى المعادية لك - على الصحة وعلى سبعين محمل صحيح!!

ج- حسن الظن بـ(دور القيم) وبما تختزنه (المثل الأخلاقية) من بلسم ناجع ومعالجة تتناغم مع الفطرة والوجدان لمعظم أنماط السلوك السلبي الذي ينتهجه أعداء الإنسان لضربه وتحطيمه أو تحجيمه، وهو الذي يدفع الإنسان لتجنب اتخاذ منهج العنف والإجرام والتعدّي والتجنّي على (المعارضة) و(على الشعب) وعلى (سائر التجمعات).

وأن الصفح والعفو والتسامح والمشورة وإطلاق الحريات وإقرار حقوق الآخرين ومنحهم إياها، هو المفتاح السحري لاحتواء المعارضة ولتحويل أشواك العداء وسموم الأعداء إلى روضة غناء ترفل بالحب والوفاء والورد والصفاء.

وهـذا ما تنطق به الآيـة الكريمة: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ فَـإِذَا الَّذِي بَيْنَـكَ وَبَيْنَهُ عَـدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَـا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾[1].

وهكـذا نجد أن حسـن الظـن باللـه وبعدالته وبالمؤمنيـن وبالقيم الإنسـانية ومفعولها الإيجابي هو الذي يدفـع الفرد والتجمع والأمة والحاكم إلى سلسـلة من مكارم الأخلاق: إلى العدل والإحسان والصفـح والإغضـاء والعفـو وإنصـاف الناس من النفـس، وإلـى فسـح المجـال لتكريـس التعدديـة والشورى والحرية.

وبالضـد من ذلك نلاحظ أن سـوء الظـن بالله وبعدالتـه وبـ(الأثـر الوضعي) للقيـم الأخلاقية يدفع الطاغوت (في أسـرته أو في تجمعـه أو في أمته) دفعاً لكـمِّ الأفـواه وقصقصـة الأجنحـة وللغيبـة والتهمـة والنميمة ولشتى أنماط الإجرام حتى لتتعجب منه -لو أدركَتْ كلَّ ذلك- وحوشُ الغابات وذئاب الفلوات!

(١) فصلت / ٣٤-٣٥.

سوء الظن مرضٌ خطير متموّج

ومن اللافت للنظر: إن سوء الظن حالة مَرَضية تتوسع وتنتشر دون حساب فمن سوء الظن بالمعارضة إلى سوء الظن بأقطاب التجمّع ذاته، ومن سوء الظن بالشعب إلى سوء الظن بالأصدقاء ورفقاء الدرب، ومن سوء الظن بـ(نقد بناء) يقوم به معارض أو صديق، إلى سوء الظن بالتخطيط لمحاولة انقلاب عسكري.

وتتوالى ردود الفعل قاتمة سوداء مظلمة.. فمن تعبئة إعلامية إلى عزل اجتماعي، مروراً بالسجن والتعذيب لانتزاع الاعتراف إلى التصفية الجسدية واستئصال حتى الجذور على طريقة (لا تبقوا لهم عامر دار ولا نافخ نار ولا طالب ثار).

وهكذا تتابع الصور القاتمة متسلسلة متماسكة:

فسوء الظن بدور القيم الأخلاقية بل اعتبارها زيتاً يصبُّ على النار ويشجِّع على التعدي، وهو الذي يغذّي في المرء حالة الخوف الذي يدفع

المرء للإجرام كوسيلة مضمونة لتحقيق الأمن، كما يخال، وهو أيضاً يتفاعل داخل النفس ليزرع فيها حقداً دفيناً يتنامى بشكل مضطرد ليحرق الرطب واليابس وليحوّل رياض الحب والإخاء إلى (محرقة) لا ترى فيها إلا رماد العداوة والبغضاء ومزيداً من العنف والإجرام.

والخوف والحقد يتفاعلان أيضاً في أعماق النفس لينتجا مزيداً من سوء الظن وكذلك الحسد تماماً، وهي (عجلة) لا تدور إلا لتقضي على الإنسان قبل أن تقضي على الآخرين.

إن أفضل طريقة لتحطيم سعادتك -إن شئت- أن تتمسك بهذا (الثالوث المشؤوم)[1]، واقصر طريق لتدمير أي تجمّع أو حزب أو عائلة أن يستخدم رب العائلة أو مدير التجمع وقائد الحزب (قنبلة سوء الظن) الموقوتة التي تتموج باستمرار لتنسف (شبكة العلاقات الاجتماعية) ولتستأصل

(١) الحقد، الحسد، الجبن والخوف فباعتبار تلازمهما يمكن اعتبارهما عاملاً واحداً وباعتبار التباين المفهومي يمكن عدّهما عاملين.

(نـور الإيمـان) مـن كيـان الإنسـان بـل (تتمـوج) وتتوالى تفجّراتها كما القنابل العنقودية...

ويكفـي الأعـداء أن يركنـوا إلـى سـوء ظـن الحاكـم بشـعبه أو التجمعـات بعضهـا ببعض دون حاجة إلى استخدام أية قنبلة ذرية أو هيدروجينية.

وكفى في ذلك عبرة لمن اعتبر.

الفصل الثالث

الحاكم الجائر
في (دائرة حسن الظن)!!

الحاكم الجائر في (دائرة حسن الظن)!!

قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾[1].

كيف يجب أن تكون علاقة شرائح الأمة بالسلطان الجائر؟!

علاقة الرفض المطلق، أم الخضوع المطلق، أم الرقابة الصارمة والتعامل الحذر ثم التصدي له عند أي منعطف؟

وما هي انعكاسات هذه الأنماط من العلائق على الأخلاق، والدين، والفكر، والعقيدة، وعلى

---

(١) النساء / ٦٠.

نمـط العلاقـة الأفقيـة والعموديـة بيـن شـتى أفراد المؤسسات وقطاعات الأمة و...؟

ومـا هي تأثيـرات هذه الأسـس الأخيرة على الاتجاه السـلوكي والانتخاب النمطـي لأية واحدة من تلك العلائق؟

متى يجب أن نحسـن الظن بالحكومة؟ ومتى يحرم؟

وفي أية صورة علينا أن ننتهج منهج التشكيك والحـذر المطلق من أية خطوة أو إشـارة أو تصريح أو موقف يصدر من الحاكم الجائر؟

وهل تجري بالنسـبة للحاكـم الجائر معادلة «احمل فعل أخيك على سبعين محملاً»؟

أم لا؟ ولماذا؟

إن هذه البحـوث ونظائرها تحتاج إلى مجلد ضخـم لاستكشـاف رؤية شـمولية ومنهـج مترابط متكامـل. إلاّ أن مـا أخذنـاه علـى أنفسـنا فـي هـذا البحـث أن ندرس العلاقة بيـن الأمة والحكومة في

إطار دائرة (سوء الظن) فحسب وفي بعض جوانب ذلك فقط.

الأصل في الحكام الجائرين إساءة الظن بهم

للإجابة على ذلك لابد أن نقول:

أ- إن (الحكمة) في الردع عن سوء الظن بالمؤمنين هي: إن الله سبحانه وتعالى أراد أن تتحكم أواصر المحبة وتتوثق عرى الأخوة بين المؤمنين كي يعيشوا الاستقرار والرضى وليتحولوا يداً واحدة تتحرك لبناء مجتمع صالح ذي مستقبل مشرق ولكي يطهر المجتمع من شوائب الغيبة والتهمة و.. والتي يعد سوء الظن من أكبر عواملها.

ب- والأمر على العكس تماماً في المعادلة بين الحاكم الجائر وجمهور الناس، ذلك أن الله سبحانه وتعالى أراد أن تحكم علاقة معاكسة تماماً لذلك بين الناس والحاكم الجائر: أراد مزيداً من البعد والحذر والقطيعة والفصام لاعتبارات عديدة منها أن العلاقة مع الحاكم الجائر هي من المشجعات على الظلم، وهي من أهم عوامل نسف

أسس الصلاح في المجتمع.

قال تعالى: ﴿**وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ**﴾[١] وفي الروايات الدالة على حرمة التعاون مع الظالم حتى بمقدار مدة قلم أو ممن «برى لهم قلماً أو لاق لهم دواة» وفي قول الإمام الصادق عليه السلام في رواية يونس بن يعقوب: «لا تعنهم على بناء مسجد»[٢]. وفي قضية الإمام الكاظم عليه السلام وصفوان الجمال الذي ردعه عن إكراء جماله لهارون الرشيد رغم أنه كان يحج بها بيت الله الحرام، مؤشر واضح على كل ذلك.

هذا هو (الأصل) ههنا وما عداه استثناء، على العكس من الأصل في عامة الناس

ومما يشهد على أن الشرع الأقدس أراد أن تحكم علاقة البعد والحذر والقطيعة بين الأمة والحاكم الجائر ما ذكره في المكاسب: «أن ظاهر الروايات كون الولاية - أي من قبل السلطان

(١) هود / ١١٣.
(٢) وسائل الشيعة ج١٧ ص١٨٠.

الجائـر- محرمة بنفسـها مـع قطع النظـر عن ترتب معصية عليه من ظلم الغير».

ولنـا أن نقول إن توثيق عـرى المحبة إذا كان من وجوه الحكمة في تشـريع حرمة سـوء الظن فإن من وجـوه الحكمة في حرمة حسـن الظن بالحاكم الجائـر هـي تكريـس الحصانـة والمناعة فـي الأمة وإقـرار طـوق عـازل يُجنِّـب الأمـة الانسـياق وراء مغريـات السـلطان فـي كل الظـروف وذلـك نـوع مـن أنواع فـرض الحمى باعتبـار أن «من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه».

قـال فـي المكاسـب فـي تعليـل جـواز غيبة الظالم: «ولأن في تشريع الجواز -أي جواز غيبته- مظنـة ردع الظالم وهـي مصلحة خالية عن مفسـدة فيثبـت الجـواز لأن الأحـكام تابعـة للمصالـح). الثاني: تظلم المظلوم».

أقـول: والأمر فـي المقام كذلـك إن لم يكن أولى.

إن سـوء الظـن بالجائـر هـو ذلـك الحاجـز

السميك الذي يحول دون أن يستطيع خداع السذج والبسطاء بأحابيله ودون أن يستطيع تمرير مخططاته نحو مزيد من السيطرة ومزيد من التحكم والاستبداد ومزيد من الاستئثار بالأموال والثروات ومزيد من مصادرة الحقوق وكمِّ الأفواه.

إن فرض ذلك الحصار الكبير ضد الحاكم الجائر هو الذي يحول دون أن يتخذ العلماءُ من عبيد الدنيا، حسن الظن بالجائر وسيلة للتغطية على عمق دوافعهم نحو التسبيح بحمد الحاكم والالتفاف حوله وتقبل عدد من المناصب والمسؤوليات والأدوار في دائرته وفي ظله وتحت مظلته، متسترين بستار (الإصلاح) و(المصلحة العامة) رافعين شعار إنّ ذلك هو الطريق الوحيد للخدمة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إياكم وأبواب السلطان وحواشيها فإن أقربكم من أبواب السلطان وحواشيها أبعدكم عن الله تعالى»[1] وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ما اقترب عبد من سلطان جائر إلاّ تباعد من الله»[2].

(١) بحار الأنوار ج٧٢ ص٣٧٢.
(٢) بحار الأنوار ج٧٢ ص٣٧٢..

ت - وإلى جوار ذلك قد تكون الحكمة في تشريع قواعد كأصالة الصحة وسوق المسلمين ويد المسلم و... هي قاعدة التسهيل والمصلحة النوعية حيث ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾[1]. وبلحاظ أن الظن يلحق الشيء بالأعم الأغلب، وبلحاظ (ضرب القانون) أيضاً.

وعلى العكس من ذلك المعادلة في التعامل مع الحاكم الجائر (النوعية) أي التي تترك تأثيراً على جموع من الناس فإن ما قد يبدو تسهيلاً عند إقرار حسن الظن بالحاكم الجائر هو في جوهره تعقيد وتصعيب وخطأ استراتيجي ومفسدة نوعية، ذلك أن العبرة بالمآل والغايات وليس بالحال والرغبات.

بل أن الشارع الأقدس قد صرح بمطلق المقاطعة وإن بدت تصعيباً في العديد من الروايات ومنها ما ورد في رواية سلمان الجعفري: «إن الدخول في أعمالهم والعون لهم والسعي في

(١) البقرة/ ١٨٥.

حوائجهم عديل الكفر، والنظر إليهم على العمد من الكبائر التي تستحق بها النار»[١].

وكما أن الجهاد صعب في الحال، حلو المذاق في المال، كما قال الإمام علي عليه السلام: «جاهدوا تورثوا أبناءكم عزاً»[٢] كذلك سوء الظن بالجائر بما يستلزمه من بعد وفصم، يُحمِّل المرء بعض (العنت) و(المشقة) إلاّ أنه يربحه الموقف كله وسيجني المرء من صبره وصموده أحلى الثمار.

والمعادلة في ذلك كالمعادلة في «لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولي الله أموركم أشراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم دعاؤكم»[٣] وكالمعادلة في «صبروا أياماً طويلة أعقبهم راحة طويلة». وكالمعادلة فيمن يتجنب وهو في غابة موحشة اللجوء إلى عرين الأسد،

(١) وسائل الشيعة ج١٢ ص١٣٨.
(٢) وسائل الشيعة ج١ ص١٣.
(٣) أمالي الشيخ الطوسي ج٢ ص١٣٦، ونقلًا عنه: البحار ج٩٧ ص٧٧.

حذراً من المبيت في العراء.

إن السلطة الجائرة هي (قطب رحى) الفساد وهي (المغناطيس) التي يجذب بكل قوة وعنف، كل من يقترب منه، نحو مستنقع الرذائل المادية والظلم والضلال والإضلال، ذلك أنها التجسيد الأكبر أيضاً لكل الشهوات الحيوانية الدنيئة.

وتصرفات الطغاة الأعم الأغلب فيها الانطلاق من هذا المنطلق إذ إنهم ﴿**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ**﴾[1] فكان مقتضى الحكمة عدم تشريع أصالة الصحة[2] في تصرفاتهم النوعية. وكان الظن النوعي العقلائي يذهب إلى أن تصرفاتهم تنبع من قاعدة الطغيان التي أشار إليها جل وعلا بقوله: ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى**﴾[3].

وكان مقتضى القاعدة عدم تشريع حسن

(١) المجادلة / ١٩.
(٢) استخدمنا أصالة الصحة ههنا قاصدين الأعم كما لا يخفى.
(٣) العلق / ٦-٧.

الظـن بأفعالهـم وقراراتهم، بل تشـريع لزوم الحذر والحيطة وسوء الظن بهم بشكل متكامل.

ولكن مـاذا عـن قوله جـل وعـلا: ﴿**اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾؟[1]

والجـواب: إن (ظن السـوء بالحاكم الجائر) ليس من (بعض الظن الذي هو إثم) فليس مشـمولاً بـ﴿**اجْتَنِبُوا**﴾.

من الأدلة على رجحان وحسن سوء الظن بالظالمين

والدليـل علـى جواز سـوء الظـن بالجائر بل حسنه ورجحانه[2]

أولاً: شـهادة العقـل والوجـدان القاضي بأن حسـن الظن بأمثـال الحجـاج وهتلر وصـدام قبيح مذمـوم وسـوء الظـن بأفعالـه وقراراتـه المسـتلزم للاحتياط والحذر منه ودراسة (ما وراء الأكمة) وما الذي يهدف وأي شيء يُبيّت؟ حسن ممدوح.

(١) الحجرات / ١٢.
(٢) بل وجوبه في الجملة (أي طريقياً)

وبعبارة أخرى: إن ذلك كله هو من المستقلات العقلية.

ثانياً: الآيات والروايات الكثيرة الدالة مطابقة أو التزاماً أو بدلالة الاقتضاء على ذلك، وهي على طوائف:

الطائفة الأولى: ما صرحت بعدم حرمة للحاكم الجائر وأصحاب البدع ففي رواة أبي البختري: «ثلاثة ليس لهم حرمة: صاحب هوى مبتدع، والإمام الجائر، والفاسق المعلن بفسقه» وقوله تعالى: ﴿**وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾[1] وقد اتخذها الفقهاء دليلاً على عدم حرمة اغتياب من ظلمك، وهي بالدلالة على عدم حرمة سوء الظن بالظالم أولى وأقوى، للأولوية، كما سيأتي.

ويمكن التمسك بالإطلاق الإفرادي أو الأزماني والأحوالي لـ(السبيل) وتعضد هذا التمسك سائر الآيات والروايات التي ذكر بعضها

(١) سورة الشورى.

في هذا المقال. فتأمل

الطائفة الثانية: ما دل على عدم حرمة اغتياب أشباه الحاكم الجائر، وما دلَّ على استثناء موارد للغيبة منها: إضافة إلى (إلاّ من ظلم): نصح المستشير ولإصلاح ذات البين وغير ذلك، كل ذلك بالأولوية القطعية[1].

الطائفة الثالثة: ما صرح (بوجوب مباهتتهم) كما ورد بسند صحيح عن الرسول الأعظم ﷺ: «إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم، وأكثروا من سبهم، والقول فيهم، والوقيعة، وباهتوهم[2] كيلا يطمعوا في الفساد في الإسلام، ويحذرهم الناس ولا يتعلموا من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع

(١) هاتان الطائفتان تنهضان بالجواز وأما الطائفة الثالثة الآتية فهي دليل الرجحان والحسن بل الوجوب ببركة عموم التعليل، ولكنه يفيد الوجوب في الجملة. فتأمل

(٢) إذ البهتان لعله يكون بمعنى الإفحام وأن تجعله يتحير وكذلك أخذه فجأة نعم تكفي الجمل السابقة في الرواية «سبهم .. القول فيهم .. الوقيعة».

لكم الدرجات»[1][2].

ومـن الواضح أن بهتان المؤمن والافتراء عليه واتهامه بما ليس فيه من أعظم المحرمات، ومع ذلك كان هـذا واجباً -وليس جائزاً فقط- في حق الحاكم الجائر، فكيف بسـوء الظن به وهو الذي لا يرقى إلى درجتـه أبـداً بـل كونه محرمـاً من مواطـن الخلاف، وكون البهتان من أشد المحرمات مما لا شك فيه.

﴿بَعْضَ الظَّنِّ﴾ في دائرة العلم الإجمالي

تبقى هنا الإشـارة إلى إشـكال قد يتوهم على الآية الشـريفة فـ﴿إِنَّ بَعْـضَ الظَّنِّ إِثْـمٌ﴾ قضية غير

(١) وفي الحديث: «من باهت مؤمنا أو مؤمنة حبسه الله يوم القيامة في طينة خبال» - الحديث، وهو من قولهم بهته بهتاً وبهتاناً، أي قال عليه ما لم يفعله وهو مبهوت.
وفيه «فإن لم يكن فيه فقد بهته» هو بفتح هاء مخففة: أي قلت عليه البهتان.
وبهتا بهتاً من باب نفع: قذفها بالباطل وافترى عليها الكذب. راجع مجمع البحرين: ج: ١- ص: ٢٥٦.

(٢) وممن صرح بكون هذه الرواية صحيحة الشيخ الأعظم في مكاسبه مبحث مستثنيات الغيبة وكذلك السيد الخوئي قدس سرهما.

مسوّرة بالاصطلاح المنطقي -مهملة فكيف تقع موقع التعليل لـ(اجتنبوا كثيراً من الظن)؟ ثم إن (اجتنبوا) لا يجدي لكون متعلقه (كثيراً) وليس الكل.

وبعبارة أخرى الاشتغال اليقيني يستدعي البراءة اليقينية ولا اشتغال يقيني ههنا[1].

يجيب السيد الشيرازي قدس سره عن هذا السؤال قائلاً: «فإنه من العلم الإجمالي بالحرام في البين إذ لو لم يكن منجزاً لم يحرم (كثيراً من الظن) لأجل البعض الذي هو إثم»[2].

والعلم الإجمالي منجز في الشبهات المحصورة، وكذلك في الشبهات غير المحصورة إذا كانت من قبيل شبهة الكثير في الكثير، والمقام من هذا القبيل.

أو يقال: حيث وجب اجتناب البعض،

(١) اشتغال الذمة بوجوب اجتناب سوء الظن حتى يحُقَّق بترك كافة أفراده.
(٢) الفقه القواعد الفقهية: ص١٥٤.

وحيث لم يعلم، وجب الفحص فلا يجوز سوء الظن إلا بعد الفحص وإحراز أنه من النوع الجائز

أو يقال: تَعنْوَنَ سوء الظن، ببركة الآية، بكونه على نوعين: سوء الظن المحرم وسوء الظن الجائز ومبنى مشهور القدماء قبل الشيخ الانصاري على صحة التمسك بالعام في الشبهة المصداقية للخاص سواء دار بين الأقل والأكثر أم دار بين المتباينين. فتأمل

أو يقال: بإن العام إذا لم يتعنون -كما في المخصص المنفصل بل والاستثناء المنفصل- فإن كافة المصاديق المشكوك شمول الخاص لها تندرج تحته -أي تحت العام- كما ذهب إليه الآخوند الخراساني. فتدبر

وأما في خصوص المعادلة مع الحاكم الجائر وسوء الظن به فيمكن القول بالخروج التخصيصي عن دائرة الحرمة بدلالة تلك الطوائف من الآيات والروايات السابقة الذكر.

ويمكن القول بعدم تنجز العلم الإجمالي في

شأنهم وذلك نظراً لانقلاب المعادلة في حقهم.

توضيح ذلك: أن تصرفات الحاكم الجائر وقراراته[1] (الداخلة في الدائرة المشكوكة) ليس المطابق منها للشرع من الكثرة بحيث تنطبق عليه معادلة شبهة الكثير في الكثير في أطراف العلم الإجمالي هذا إن لم نقل بأن شتى الأدلة والقرائن المقامية تشهد بعدم ذلك فتأمل.

وهنالك العديد من الأدلة والشواهد الأخرى التي تؤكد ضرورة أن ينتهج المجتمع الإسلامي منهج (سوء الظن) تجاه الحاكم الجائر وأن ينظر إليه وإلى أعوانه ويتعامل معهم كما يتعامل مع الوحوش الكاسرة بل كما يتعامل مع حاملي الأمراض المعدية والمجذومين وأشباههم لكن لعل فيما مضى غنى وكفاية.

(١) غير المعلوم مطابقتها للشرع سواء كان التزامهم بالعمل على طبق الشرع فيها اضطراراً أم اقتناعاً أم لغير ذلك.

المحتويات

المقدمة ٧

الفصل الاول

سوء الظن حكمه الشرعي، أسبابه، والحلول ١١
سوء الظن: الحكم والأسباب والحلول ١٣
سوء الظن عامل دمار الأمم ١٣
سوء الظن رذيلة أخلاقية أم حرام ومعصية؟ ١٤
سوء الظن المرض المجهول..... ٢٠
من أسباب سوء الظن ٢٤
من الحلول الناجعة ٢٩
قواعد فقهية مبنية على حسن الظن ٣٤

الفصل الثاني

سوء الظن السر الخفي وراء الجريمة ٣٧

سوء الظن السر الخفي وراء الجريمة ٣٩
حسن الظن بالله وبالمؤمنين وبدور القيم العليا .. ٤٥
سوء الظن مرضٌ خطير متموّج ٥٠

الفصل الثالث

الحاكم الجائر في (دائرة حسن الظن)!! ٥٣
الحاكم الجائر في (دائرة حسن الظن)!! ٥٥
الأصل في الحكام الجائرين إساءة الظن بهم..... ٥٧
من الأدلة على رجحان وحسن سوء الظن بالظالمين .. ٦٤
﴿بَعْضَ الظَّنِّ﴾ في دائرة العلم الإجمالي..... ٦٧
المحتويات ٧١